

shariatallah.org

الملحق 8د: قوانين التطهير — لماذا لا يمكن الالتزام بها من دون الهيكل

هذه الصفحة جزء من سلسلة تستكشف شرائع الله التي لم يكن ممكنًا طاعتها إلا عندما كان الهيكل قائمًا في أورشليم.

- الملحق 8أ: شرائع الله التي تتطلب وجود الهيكل
- الملحق 8ب: الذبائح — لماذا لا يمكن تقديمها اليوم
- الملحق 8ج: الأعياد الكتابية — لماذا لا يمكن الاحتفال بأيٍّ منها اليوم
- الملحق 8د: قوانين التطهير — لماذا لا يمكن الالتزام بها من دون الهيكل (هذه الصفحة).
- الملحق 8هـ: الأعشار والبواكير — لماذا لا يمكن الالتزام بها اليوم
- الملحق 8و: خدمة العشاء الرباني — كان العشاء الأخير ليسوع هو الفصح
- الملحق 8ز: شرائع النذير والنذور — لماذا لا يمكن الالتزام بها اليوم
- الملحق 8ح: الطاعة الجزئية والرمزية المتعلقة بالهيكل
- الملحق 8ط: الصليب والهيكل

تتضمن التوراة شرائع مفصّلة عن الطهارة والنجاسة الطقسيّتين. لم تُلغَ هذه الوصايا قط. ولم يُبطلها يسوع قط. ومع ذلك، أزال الله الهيكل والمذبح والكهنوت و**مسكنه الظاهر** من بين الأمة، استجابةً لعدم أمانة إسرائيل. وبسبب هذه الإزالة، لا يمكن طاعة وصايا التطهير اليوم.

مع أننا مخلوقات واهنة، فقد أقام الله، بمحبته لشعبه المختار، حضوره بين إسرائيل لقرون (الخروج 17:15؛ أخبار الأيام الثاني 2:6؛ الملوك الأول 12:8-13). لكن منذ سنة 70 ميلادية، لم يعد الهيكل الذي فيه تجلّت قداسته وفيه كان اللقاء بها **موجودًا**.

ما أمرت به الشريعة

حددت الشريعة حالتين قانونيتين حقيقيتين: الطهارة (**טָהוֹר — طاهور**) والنجاسة (**טָמֵא — طامي**). وكان يمكن للإنسان أن يصبح نجسًا بسبب أمور عادية لا يمكن تفاديها في حياة البشر: الولادة (اللاويين 12:2-5)، والحيض وسائر إفرازات الجسد (اللاويين 15:19-30)، ومخالطة الموتى (العدد 19:11-13). لم تكن هذه الحالات سلوكًا خاطئًا، ولم تكن تنطوي على ذنب. بل كانت مجرد حالات قانونية تقيّد الاقتراب من الأمور المقدسة.

وقد أمرت الشريعة أيضًا بإجراءات للتطهير في كل هذه الحالات. أحيانًا كان الأمر لا يتطلب سوى الانتظار حتى المساء، وفي أحيان أخرى كان يتطلب الاغتسال، وفي حالات عدة كان يتطلب تدخل الكاهن وتقديم الذبائح. ليس المقصود أن إسرائيل «شعروا» بالنجاسة، بل إن **الله سنّ حدودًا حقيقية حول قداسته**.

لماذا وُجدت هذه الشرائع أصلًا

وُجد نظام الطهارة لأن **الله سكن بين إسرائيل في حيّز مقدس محدد**. وتذكر التوراة نفسها السبب: كان ينبغي إبقاء إسرائيل بعيدين عن النجاسة كي لا يتدنّس مسكن الله، ولكيلا يموت الشعب باقترابه من حضرته المقدسة وهو في حالة تدنّس (اللاويين 15:31؛ العدد 19:13).

وهذا يعني أن شرائع النجاسة لم تكن عادات معيشية ولا نصائح صحية. **بل كانت شرائع خاصة بالمقدس**. وكان هدفها دائمًا واحدًا: حماية مسكن الله وتنظيم الاقتراب منه.

كان الهيكل هو نطاق الاختصاص، لا مجرد المكان

لم يكن المقدس مجرد مبنى ملائم تُقام فيه أنشطة دينية، بل كان المجال القانوني الذي تسري فيه أحكام كثيرة من شرائع الطهارة. وكانت النجاسة ذات أهمية لوجود حيّز مقدس ينبغي حمايته، وأشياء مقدسة ينبغي صونها، وخدمة مقدسة ينبغي الحفاظ عليها. وقد أقام الهيكل الحد القانوني الفاصل بين العام والمقدس، وألزمت الشريعة بالحفاظ على ذلك الحد.

عندما أزال الله مسكنه استجابةً لعدم أمانة إسرائيل، لم يُلغِ شريعته، بل أزال نطاق الاختصاص الذي كان من الممكن فيه تنفيذ كثير من شرائع التطهير. ومن دون المسكن، لا يوجد «اقتراب» مشروع لتنظيمه، ولا حيّز مقدس ينبغي حمايته من التدنّس.

الشرائع الأساسية وإجراءات الاحتواء

يتضمن الإصحاح 15 من سفر اللاويين تفاصيل كثيرة تتعلق بالبيت: فراش نجس، ومقاعد نجسة، واغتسال، وعبارة «نجس حتى المساء». لم تكن هذه التفاصيل وصايا مستقلة غايتها بناء نمط حياة دائم، بل كانت إجراءات احتواء لم

يكن لها سوى غرض واحد: منع وصول النجاسة إلى مسكن الله وتلويث ما هو مقدس.

ولهذا لا معنى لهذه الإجراءات اليوم بوصفها «تعبّدات» قائمة بذاتها. إن إعادة تمثيلها من دون المقدس الذي صُممت لحمايته ليست طاعة، بل محاكاة رمزية. لم يأذن الله قط ببدائل عن نظامه. **ليس في التظاهر بأن مسكنه المقدس ما زال قائمًا أي إكرام لله، مع أن الله نفسه هو الذي أزاله.**

الحيض المعتاد

يتميز الحيض المعتاد عن سائر حالات النجاسة في التوراة بأنه متوقع، ولا يمكن تفاديه، وتنتهي حالته بمرور الوقت وحده. كانت المرأة تبقى نجسة سبعة أيام، وكل ما تضطجع عليه أو تجلس عليه يصبح نجسًا؛ وكل من لمس تلك الأشياء يصبح نجسًا حتى المساء (اللاويين 15:19-23). وإذا اضطجع رجل معها في الفراش نفسه في تلك الفترة، أصبح هو أيضًا نجسًا سبعة أيام (اللاويين 15:24).

لم تكن هذه النجاسة المعتادة التي تزول بمرور الوقت تتطلب كاهنًا أو ذبيحة أو مذبحًا. **كان غرضها القانوني تقييد الاقتراب من الحيّز المقدس**. ولهذا لم تعق هذه الشرائع الحياة اليومية، ولم تقتضِ القرب الدائم من أورشليم. كانت حالتا الطهارة والنجاسة مهمتين لأن مسكن الله كان قائمًا، ولأن شريعته نظّمت الاقتراب منه. ومع إزالة المسكن، لم يعد لهذه القواعد المنزلية الخاصة بالطهارة تطبيق مشروع، ولذلك لا يمكن طاعتها اليوم.

توضيح مهم: إن تحريم إقامة علاقات جنسية مع امرأة حائض شريعة مختلفة تمامًا. فهذه الوصية ليست إجراءً للتطهير، ولا يتوقف معناها أو إنفاذها على وجود الهيكل (اللاويين 18:19؛ 20:18). وهذا التحريم الجنسي خطير جدًا، وهو وصية مستقلة يجب الاستمرار في طاعتها اليوم.

النزف غير المعتاد

كان النزف خارج الدورة الشهرية المعتادة يُصنَّف بطريقة مختلفة، وكان إتمام التطهير يعتمد على الهيكل. كانت المرأة نجسة طوال مدة النزف، وعندما يتوقف كان عليها أن تحسب أيامًا، ثم تأتي بتقدمات إلى الكاهن عند مدخل المقدس (اللاويين 15:25-30). هذه ليست حالة «يزول فيها الأمر بمرور الوقت وحده»، بل هي حالة تتطلب كاهنًا وتقدمة. لذلك لا يمكن طاعتها اليوم، لأن الله أزال النظام اللازم لإتمامها.

النجاسة الناجمة عن الجثة

كانت مخالطة الموتى تُنتج نوعًا شديدًا من النجاسة يهدد المقدس مباشرة. وتتحدث التوراة هنا بجدية بالغة: فالشخص النجس الذي دنّس المسكن كان يجب أن يُقطع، وعومل التدنيس باعتباره إساءة مباشرة إلى حيّز الله المقدس (العدد 19:13؛ 19:20). وكانت الوسائل المقررة للتطهير تعتمد على أدوات عيّنها الله وعلى إطار عمل مقدس قائم. ومن دون نطاق اختصاص الهيكل، لا يمكن تسوية هذه الحالة على نحو مشروع وفقًا للوصية.

ما الذي تغيّر عندما أزال الله مسكنه

أزال الله الهيكل والمذبح والكهنوت اللاوي دينونةً. ومع هذه الإزالة، فقد نظام الطهارة مجاله القانوني. فلا يوجد حيّز مقدس ينبغي حمايته، ولا موضع مشروع للاقتراب ينبغي تنظيمه، ولا كهنوت معيّن يتولى أداء الأعمال المطلوبة عندما تستلزم الشريعة تدخل الكهنة.

لذلك لا يمكن تطبيق أي من وصايا التطهير اليوم؛ ليس لأن الشريعة انتهت، بل لأن الله أزال نطاق الاختصاص الذي منحها قوتها القانونية. ما زالت الشريعة قائمة، أما الهيكل فلا.

لماذا تُعدّ «ممارسات التطهير» الرمزية عصيانًا

يحاول البعض استبدال نظام الله بطقوس خاصة، أو اغتسالات «روحية»، أو ممارسات منزلية مبتكرة تحاكي تلك الشرائع. لكن الله لم يأذن بأي بدائل. ولم يكن لإسرائيل أن يبتكروا بحرية صيغًا جديدة للتطهير. كانت الطاعة تعني فعل ما أمر به الله بالضبط، في المكان الذي اختاره الله، على يد الخدام الذين عيّنهم الله.

عندما يزيل الله أدوات الطاعة، لا تكون الاستجابة الأمينة هي المحاكاة. بل تكون الاستجابة الأمينة الإقرار بما فعله الله، ورفض الابتكارات، وإكرام الوصايا التي يتعذر تنفيذها حاليًا.

الخاتمة

لم تُلغَ شرائع التطهير قط. لقد وُجدت لأن الله سكن بين إسرائيل ونظّم الاقتراب من حضرته المقدسة. واستجابةً لعدم أمانة إسرائيل، أزال الله مسكنه والهيكل والكهنوت. وبسبب هذه الإزالة، لا يمكن طاعة نظام الطهارة القائم على المقدس اليوم. نحن نطيع كل ما لا يزال ممكنًا أن نطيعه، ونكرم ما جعله الله مستحيلًا باحترام أفعاله ورفض استبدال وصاياه ببدائل رمزية.